الأدب الإسلامي: مفهومه وتجلياته

عبد الكريم المناوي
ديداكتيك اللغة العربية والآداب والفنون
المغرب

ملخص الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى تناول مفهوم الأدب الإسلامي وخصائصه ووظائفه ومصادره وإطاره الذي يتشكل من خلاله، باعتباره أدبا هادفا وملتزما ومتجددا يستمد مضمونه الفكري من قيم الإسلام العريقة في النصوص الأدبية القديمة والمعاصرة، شعرا كانت أم نثرا، و إبراز الصفات و الخصائص الذي يمتاز بها الأدب الإسلامي عما سواه من المذاهب الأدبية الأخرى، فهو أدب هادف ملتزم أصيل يستمد قيمه من الإسلام الثابت الراسخ...

الكلمات المفتاحية: الأدب الإسلامي، الوظائف والمصادر، الشعر والنثر، قيم الإسلام..

مقدمة

اتسعت دائرة الاهتمام بالأدب الإسلامي في السنوات الأخيرة، إلا أن هذه الجهود المبذولة تبقى محدودة رغم أهميتها، حيث تطمح إلى ارتياد آفاق جديدة؛ وقد اعتمدت على الأعمال و الدراسات التي قام بها ثلة من الأساتذة الفضلاء الشيخ أبو الحسن علي الندوي، و الإمام الشهيد حسن البنا، و الأديب الناقد سيد قطب، والدكتور عبد الرحمان رأفت باشا، و الدكتور نجيب الكيلاني وغيرهم من الكتاب و الشعـــــراء والنقاد.

كما تطمح هذه الجهود إلى أن تحدث نوعا من التقارب بين القارئ وهذا الأدب، حتى تتمكن من فتح مجالات رحبة للدراسة المقارنة بين آداب الشعوب الإسلامية الناتجة عن عوامل التأثير والتأثر والتداخل بين تلك الآداب.

I) _ مفهوم الأدب الإسلامي

لقد تعددت تعاريف الأدب الإسلامي، لكنها تجتمع في مضمونها في ذلك الأدب الذي وضع لبيان تعاليم الدين، ويقدم التصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة. " فالأدب الإسلامي هو التعبير الفني الهادف عن واقع الحياة والكون والإنسان عن وجدان الأديب، تعبيرا ينبع من التصور الإسلامي للخالق، عز وجل، ومخلوقاته ولا يجافي القيم الإسلامي"[1].

أما التعريف الذي وضعته رابطة الأدب الإسلامي العالمية فهو: التعبير الفني الهادف عن الإنسان والحياة والكون وفق التصور الإسلامي. ويمكن إيجاز مصطلح ومفهوم الأدب الإسلامي على النحو التالي: "إنه تعبير فني جميل مؤثر، نابع عن ذات مؤمنة، يترجم عن الحياة والإنسان والكون وفق الأسس العقائدية للمسلم، وباعث للمتعة والمنفعة، ومحرك للوجدان والفكر، ومحفز لاتخاذ موقف والقيام بنشاط ما[2]، إنه إذن، أدب مفتوح أمام موضوعات شتى فصلها سيد قطب في كتابه: "في التاريخ: فكرة ومنهاج"، وطرحها محمد قطب في: "منهج الفن الإسلامي"[3]

II) _ وظائف الأدب الإسلامي

تبتدئ أهمية الأدب الإسلامي ووظيفته في الحياة في كونه نابع من كتاب الله، و سنة نبيه،فاعتمد على جمال الكلمة، وتأثير المضمون، فالأدب الإسلامي يوقظ العقول، ويحرك الوجدان و ينهج الطريق الجاد، له وظيفة عقائدية تعبر عن رؤية الإسلام للكون والحياة والعالم والإنسان، توحيدا، ونقدا وتفنيدا وهدماً جميلا لمذاهب وضعية تُعبد الناس للأرباب من دون الله تعالي، فتلك الوظيفة تعكس رؤية مشخصة، واقعية حياتية، بصورة مرنة وملتزمة في آن "مرونة تتجاوز التلقين والتقرير، والتزما من أجل الحفاظ علي الشخصية الفنية الإسلامية كي لا تتشوه أو تضيع أو تتفكك"[4]. وتتعدد وظائفه بين وظيفة اجتماعية حيث تصنع المجتمع الإسلامي وتعالجه وتجعله متماسكا موحدا على القيم النبيلة والأخلاق الفاضلة، كما له وظيفة نفسية فتطهر وتحرر النفس وتحصنها من الضياع و التفكك والخوف...ولا يخفى الدور الهام الذي يقوم به الأدب الإسلامي في الانضباط الخلقي وتنمية الحس الجمالي للمسلم، وملء الفراغ النفسي والاجتماعي المعاصر، لتحقيق الاقتران بين الفن والقيم.

III) _ مصادر الأدب الإسلامي

1- عصر صدر الإسلام

عصر صدر الإسلام هو من أعظم العصور في التاريخ الإسلامي، فقد أثر في حياة المسلمين والعرب، وفيه انتشرت دعوة الإسلام وأخرجت الناس من ظلمات الجاهلية والاستبداد والكفر إلى بر الأمان والنور والسلام، وفيه علا شأن الأدب واللغة، وصار اللسان العربي في شتى الأرجاء والأمصار.

يقول الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي[5]:"كيف لا وقد افتتح بأروع جهاد عرفته الإنسانية، وبأعظم دعوة وصلت إلى الأرض من السماء، وبنوره لم يعرف التاريخ قط لها نظير، ثورة الجمود البشري واضطهاد الإنسان لأخيه الإنسان وعبودية الطوائف والشعوب للأكثرين عدة وعددا، وثورة فتحت صفحة جديدة في حياة العالم وأحاطت ظلام الحياة ضياء ونورا، وظلمها عدلا و أمنا و سلاما و حرية، مما شهد به أفذاذ المفكرين و المؤرخين و دعاة الإصلاح".

لقد أثر الإسلام بشكل كبير في الحياة الأدبية من شعر ونثر وخطابة وكتابة ويرجع ذلك كله إلى الكتاب المعجز القران الكريم الذي جعل كلام العرب أكثر عذوبة وسلاسة وفصاحة، كما كان للإسلام الفضل الكبير في نشر اللغة العربية في شتى البلاد المفتوحة فصارت اللغة الرسمية لعقول أصبحت تستنير بهدي القران و أدب الإسلام.

2- القران الكريم

لا شك أن القران قد لعب دورا كبيرا في حياة العرب و المسلمين، فقد كان له ابلغ الآثار و أفضل النتائج.

يقول الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي[6]: " فقد اكتسب الشعراء و الخطباء و الكُتاب من أساليب القران و طرائقه في التعبير و مناهجه في سوق الآراء، وصياغة الحجج، ما جعلهم يحتذون حذوه، ويتبعون نهجه، فإذا كنا نقرأ في أي الذكر الحكيم قوله تعالى: (و إنا و إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين)[7]، أو قوله: (أي الفريقين خير مقاما و أحسن نديا)[8]، فقد رفع القران الكريم من شأن الشعر و النثر، و أحيي مجموعة من الفنون الأدبية كالقصة و الآداب الجديدة. فظهر كتاب و شعراء فحول و نقاد و رجال أدب، فيكفي أن نذكر الجاحظ و جرير و الفرزدق و أبو نواس و المتنبي و غيرهم...كما ازدهر الأدب في المشارق و المغارب، فأدركوا أن لا سبيل إلى الوقوف في مذهب بلاغة القران الكريم، فهو الكتاب المعجز الحكيم المبين الذي عجز الإنس و الجن على أن يأتوا بمثله.

3- الحديث النبوي

إن الأحاديث النبوية أدخلت الكثير من التراكيب البيانية في اللغة العربية مما ساعدها على توسيع معانيها و انتشارها وكيوعها في البلاد العربية مما جعلها ثروة كبيرة للعرب،فقد اثر الحديث النبوي على الأدب فأتم القران الكريم على تهذيب الألسنة و القضاء على الغرابة و التعقيد في الإتيان كما رفع من شان النثر وهكب أغراض الأدب و فنونه.

4- الشعر الإسلامي

أ-موقف الإسلام من الشعر:

قام الباحثون المحدثون بدراسة النصوص القرآنية التي وردت فيها كلمة شعر و شاعر، على اعتبار أن المصدر الأساسي الذي يمكن أن نستقي منه موقف الإسلام عامة من الشعر هو القران الكريم، ومنهم من ذهب إلى البحث عن الأثر الذي تركه القران في تطور النقد الأدبي العربي. فبالإضافة إلى سورة الشعراء التي تضمنت الآيات الشهيرة عن الشعراء، فقد ذكر لفظ ذكر شعر و شاعر في خمس سور أخرى مرتبة حسب نزولها في قوله تعالى في الآيات الكريمة التالية[9]:

- ((وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ))[10]
-((وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ))[11]
-((بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ))[12]
-((أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ))[13]
- ((وما هُو بِقول شاعِرٍ قلِيلا ما تُؤْمِنُون))[14]

إن هذه الآيات تنم عن موقف الكفار من القرآن و طبيعته ونبوة محمد صلى الله عليه و سلم، فقد اتهم الرسول الكريم بأنه شاعر، و أن القران شعر، فالقران كلام الله موحى للرسول عبر جبريل عليه السلام، أما الشعر فهو كلام بشري زعم بعض الأعراب انه موحى به من طرف شياطين الشعراء. و شتان ما بين كلام إلهي ينزل من السماء عبر الملك جبريل، وكلام بشري يوحي به الشيطان و التابع.[15]

و تبقى الآيات في قوله تعالى من سورة الشعراء:

((وآلشعرآء يتبعهم آلغآوون، ألم ترى آنهم من كل وآد يهيمون،وآنهم يقولون مآ لآيفعلون،إلا الذين آمنوا وعملوآ آلصآلحآت وذكرو كثيرآ وآنتصروآ من بعد مآ ظلموآوسيعلم آلذين ظلموآ أى منقلب ينقلبون))[16]

هي التي تحدد موقفا صريحا من الشعر و الشعراء، و توزعهم بين الشعراء المقبولين و المرفوضين على أساس علاقتهم بالقيم الدينية الإسلامية، فالإسلام لم يتخذ إذن موقفا عدائيا من الشعر بل يسعى إلى تأييد نمط من الشعر وفقا لقيم الإسلام الدينية و الأخلاقية، فقد عمل الرسول الكريم على إعادة ترتيب الذاكرة العربية و تنقيحها من العادات و التقاليد السلبية التي كانت معروفة في الجاهلية،فالشعر ديوان العرب وجزء من تراث العرب،لصيق بنفسية العربي،فقد قال الرسول عليه السلام:(لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين)[17].

وقد أشاد الرسول الكريم بشعر حسان بن ثابت و إعجابه بمقدرته الشعرية التي تشفي الغليل و تقوي النفس على مواصلة الجهاد في سبيل نشر القيم الإسلامية و تحقيق وحدة الإسلام. ولا بد من الإشارة إلى المكانة التي كان يحظى بها مجموعة من الشعراء

المعاصرين للرسول الأمين، فشملهم بعنايته، وكان يحثهم على العطاء ونهج طريق حسان ونذكر منهم: عبد الله بن رواحة و كعب بن مالك....

IV) _ آداب الشعوب الإسلامية

إن الأدب الذي أبدعه المسلمون والمكتوب بغير العربية قد فتح مجالات رحبة للدراسة والبحث والمقارنة. فحدث نوع من التقارب بين الأدباء المسلمين في مختلف الأقطار الإسلامية خاصة أن ما يجمع هذه الآداب هو وحدة الفكر والثقافة والتقارب في النمط الفني والصور البلاغية و الشعرية و الجمالية.

والباحث في آداب الشعوب الإسلامية سيجد كما هائلا من الكتب والدراسات والأبحاث و الروائع من القصص و الملاحم و الأشعار التي تكرم إنسانية الإنسان الذي كرمه الله سبحانه، و تعيش همومه فتفرح لأفراحه وتحزن لأحزانه، وتركز على الروابط الفكرية وتدعو إلى التضامن بين الشعوب.

1-الأدب التركي الإسلامي:

اعتنق الأتراك قبل الإسلام أديانا كثيرة كالشامانية والبوذية والمسيحية ...لتؤثر فيه الحضارة الإسلامية التي تميزت بفضائلها المتمثلة في العدالة و الحق و الأخلاق النبيلة.

وقد تأثر الأدب التركي بالقران الكريم و السيرة النبوية و بالبطولات و الفتوحات الإسلامية،كما تذوق الأتراك الشعر العربي و النثر الفني وأدب الرحلات و الأدب العربي عامة.

يقول الناقد الأدبي التركي **نهاد سامي** قوله عن الأدب التركي بعد دخول الترك في الإسلام": "لقد أصبح الأدب التركي أكثر شمولا وعالمية بعد أن كان محليا، وأصبح مكتوبا ومُدوَّنا بعد أن كان شفويا، واتخذت موضوعاته طابعا إنسانيا عاما بعد أن كانت لا تعدو مجموعة ترانيم وابتهالات دينية، فقد شرع الأدب يتناول موضوعات علمية وفكرية، ويعبر عن المشاعر والأحاسيس الإنسانية، كما عبر الأدب عن قيم ومفاهيم جديدة تقوم على الخلق الإسلامي. ومن ثم أصبح الأدب التركي كفؤا لأن يُشارك الأدبين الفارسي والعربي في البيئة الجديدة"[18].

ومن أشهر قصائد هذه الفترة[19] قصيدة الشاعر **محمود عبد الباقي** المتخلص (**باقي**) في رثائه للسلطان **سليمان القانوني**، التي يقول فيها:

لقد كان سيفُك ماضيا على ألسنة الأعداء

(يجعلهم يلعقون دماءهم)

فأصابهم البُكم، وأصبحوا خاضعين (صامتين)

...

حينما كان طائر الضلالة

يجوب آفاق هذه الصحراء الفانية (الدنيا)

جاء سيفك ليفتح السبيل

إلى الهدى (سبيل الله)

وأطلقت فرسانا كانوا كالسيوف

يجوبون أطراف الدنيا

كم أخذتَ من المعابد وجعلتها مساجدَ

كم أسكتَّ من النواقيس

ليعلوَ صوتُ الأذان مكانها (20)

* * *

2-الأدب الأردي الإسلامي:

ظهر ونما وتطور في ظل الدعوة الإسلامية؛ فقد ظهرت اللغة الأردية في ظل الإسلام وعلى أيدي دعاة الإسلام حين استطاع أن يصهر سكان منطقة الهند ويعيد تشكيلهم على عقيدة التوحيد، وشعار: لا إله إلا الله محمد رسول الله"[21]. وقد عرفت اللغة الأردية في ظل الإسلام تطورا كبيرا، فأفرز أدباؤها المسلمون أدبا عظيما مستمدا من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ملتزمين بعقيدتهم إيمانا وعلما وسلوكا.

يقول الشاعر **"مير"** بعد أن انتقل إلى بيئة أخرى مليئة بالبدع والشعوذة فلم يستطع أن يعايشها، فأخذ يحن إلى بيئته التي نشأ فيها (دهلي)، ويضرع إلى الله أن ينقذه من هذه المدينة التي انتقل إليها (لكهنو):

يا رب ... لقد جعلتني أُفارق

وجئت بي وأجلستني وسط هذه الخرابة

أين أنا من لكهنو وسكانها اللئام

هذه المدينة قبيحة الوجه

آه وآه، ماذا قدرت يا إلهي

لقد كانت خرابة دهلي

أفضل من لكهنو عشرات المرات

يا ليتني مت هناك

ولم أحضر هنا خائفا مرتعدا (22)

ونجده في شعره محبا لله، محبا لرسوله، محبا للخلق جميعا. ومن ثم فهو يحاول أن يتسامى فوق الشرور التي تنزل بالبشر، محاولا أن يدرك السر الذي من أجله خلق الله الإنسان على الأرض. ويطلب منا في قصائده ألا نضيع وقتنا في هذه الحياة، وأن نعمل لآخرتنا أكثر مما نعمل لدنيانا:

اسمعوا أيها الأصدقاء

أصحاب الفهم والإدراك

فهذه القافلة سترحل فجأة، عن الأرض والأفلاك

النبي، والسلطان، والشيخ الفقير

سيمضون جميعهم من هذا الطريق

ومن تراهم في عجلة يبحثون عن مكان

في هذه الدنيا

نقول لهم:

هذا المنزل ليس مكانا للإقامة ...

هذه دار الفناء

فالملك العظيم والفقير سواء

كلاهما قبره تحت الأرض[23]

إن هذا الكتاب يضيف لبنة إلى صرح الدراسات في أدب الشعوب الإسلامية وهو الأدب الذي تعتني جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بنشره في سلسلتها "أدب الشعوب الإسلامية" التي تفتح آفاقا واسعة للدراسات المقارنة بين آداب الشعوب الإسلامية، بسبب وجود مجالات رحبة للمقارنة، ناتجة عن عوامل التأثر والتأثير والتداخل بين تلك الآداب. كما تتيح هذه السلسلة للقارئ العام التعرف الدقيق على أوضاع العالم الإسلامي من خلال دراسة نتاجه الفكري والأدبي.

وفي هذا الكتاب جهد طيب للتعريف بالأدب الأردي في شبه القارة الهندية منذ نشأته حتى الآن، ولقد تابع مسيرة الأدب الأردي شعرا ونثرا، وعرّف بالحركات الإصلاحية، كما أتى بنماذج للأدباء البارزين مما جعل كتابه مرجعا لا غنى عنه لمن يريد التعرف على الأدب الأردي في مسيرته الطويلة التي تُكمل خمسة قرون. آملين أن يأخذ مكانه اللائق به في مكتبة الدراسات الأدبية الإسلامية المعاصرة.

خاتمة

فالبحث إذن، هو محاولة جادة للاقتراب من الأدب وفهمه الإسلامي ودراسته و معالجة قضاياه خاصة قضية النص الأدبي الدائرة في فلك التصور الإسلامي و استخراج كنوزه الفنية و الأدبية و الجمالية دون انحياز وتعصب.

ومجمل القول أن الأدب الإسلامي هو أدب غائي هادف و ملتزم و أصيل، فكر يمثل روح الإسلام جوهره وتاريخه وثقافته، فالغاية النبيلة و الهدف من كشف أغوار هذا الأدب هو النهج الصحيح للأدب الراقي، الذي يخدم الأمة الإسلامية، و الانطلاقة الإيمانية التي ينبغي على المسلم أن ينطلق منها لتأمل مشاهـــد الكون و النظر في ملكوت السموات و الأرض، و استجلاء معالم القدرة الربانية و كشف واقع الإنسان و أحلامـــه و مشاغله وأسرار حياته في قالب فني عبر رؤية إسلامية.

الهوامش:

[1] – نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، عبد الرحمن الباشا، السعودية، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، 1985م، ص92.

[2] – مدخل إلى الأدب الإسلامي، نجيب الكيلاني، قطر،كتاب الأمة: 14، جمادى الآخرة، 1407هـ، ص 36.

[3] –"سيمياء الأدب الإسلامي.. المصطلح والدلالة"، حسن الأمراني، المغرب، مؤسسة الندوي.

[4] – وظيفة الأدب في المفهوم الإسلامي، عماد الدين خليل، مجلة الأمة، ربيع الآخر 1403هـ، ص 8. 13، قطر.

[5] – الأدب الإسلامي: المفهوم و القضية، علي علي صبح و عبد العزيز شرف و محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل،بيروت،الطبعة الأولى،ص: 69.

[6] – الأدب الإسلامي: المفهوم و القضية، علي علي صبح و عبد العزيز شرف و محمد عبد المنعم خفاجي، مرجع سابق، ص: 108

[7] – سورة سبأ، الآية: 24

[8] – سورة مريم، الآية: 63

[9] انظر: غازي عبد الرحمن القصيبي في: من هم الشعراء الذين يتبعهم الغاوون، دار الساقي، الطبعة الثانية:1994، ص 15 – 16.و الإسلام و الشعراء: د سامي مكي العاني، عالم المعرفة، الكويت، العدد 1983،66.

[10] – سورة يس، الآية 69 (مكية)

[11] _ سورة الصافات، الآية 36 (مكية)

[12] _سورة الأنبياء، الآية 5 (مكية)

[13] _ سورة الطور، الآية 30 (مكية)

[14] _ سورة الحاقة، الآية 41 (مكية)

[15] – نقد الشعر عند العرب في الطور الشفوي، عبد العزيز جسوس، مطبعة تنمل، الطبعة الاولى،1995، ص: 42.

[16] – سورة الشعراء،الآيات: 224- 225 – 226 – 227.

[17] _ العمدة: 1 / 30

[18] الكتب و قضايا في الأدب الإسلامي، حسين علي محمد، السنة 24- العدد 98 - أبريل 2003م،الطبعة الثانية، ص:16 – 17

[19]– يقول عنها المؤلف إنها من أشهر المراثي في الأدب التركي"، السابق، ص 83.

[20] المرجع السابق، ص83، 84.

[21]– المرجع السابق، ص:22.

[22] المرجع السابق، ص229- 230.

[23] المرجع السابق، ص233.